العدالة الاجتماعية

العدالة بالمعنى الذى تنطوى عليه هذه الكلمة ، ليس لها وجود على ظهر الأرض ، فى العصور القديمة كانت الحياة فوضى لاحد لها ونزعة الشر هى المسيطرة على النفوس ، وقدظلت قوانين الغاب تفتك فتكا ذريعاً فى الضعفاء . وبمرور الزمن أحس الإنسان بحاجة ملحة تدفعه إلى التعاون وأخذ يدرك أن الشر لا يورث إلا شراً مثله ، وراح الناس يتلمسون طرق النجاة من حياة الشقاء التى تقلق عليهم راحتهم وتعكر صفو حياتهم . وأخذت تعلو صيحات الأحرار تطالب بالمساواة والمحبة والتعاون وبرز من بينهم الرؤساء والزعماء والقادة ، خرج كل منهم ببرنامج كافل للأفراد والجماعات حقوقهم ومعينا واجباتهم .

وقد تمخض هذا التطور العجيب عن مذاهب متباينة . ثم برز الدين الإسلامى ونزل القرآن الكريم ، يحث الناس على أن يكون أمرهم شورى بينهم ، ونظم أصول الحكم ليرتاح الحاكم ويطمئن المحكوم « ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ، ووضع نظاماً للملكية وساوى بين الناس لافرق بين كبير وصغير ، فى الدنيا أمرنا بالصلاة ليقف الناس على اختلاف مشاربهم وتباين نزعاتهم جنباً إلى جنب ، ووعدنا بالحشر يوم البعث جميعاً فى صعيد واحد ، وأمرنا بالصيام لنتخذ من الجوع والعطش حكمة فى المساواة والرحمة للمنكوبين والمعوزين . وفرض الزكاة وجعل فى أموال الأغنياء حقاً للسائل والمحروم لتخف وطأة العوز على الفقراء وتزكى الأغنياء « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وهكذا أرسى القرآن دعائم المجتمع الصحيح وثبت مقوماته .

وطبق النبى عليه السلام ماجاء فى القرآن تطبيقاً صحيحاً ، وحذا حذوه الخلفاء الراشدون ، فنرى أبا بكر يبين سياسته فى أول خطبة ألقاها بعد انتخابه خليفة للمسلمين : « ياأيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى . أطيعونى مأأطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »

وهذا عمر بن الخطاب يقول « ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه »

فأين نحن منها وأين هى منا ، رأسمالية خلعت على نفسها ثوباً اشتراكياً شفافاً يزدان ببريق المظهر الخادع استحياء أو خوفاً من المذهب الشيوعى . وشيوعية سافرة بمبادئها الهدامة . وتظل الأمم الضعيفة تترقب سوء مصيرها بعين القلق ، فمنها ماانطوى تحت سيطرة المعتدى الظالم وبعضها حائر فى مفترق الطرق تهزه التيارات السياسية هزاً عنيفاً . وبعضها الآخر لايعلم مايخبئه له ضمير الغيب . .

وما دام العالم لايستطيع منع الشر والعدوان ، ولا فى طوقه نشر العدالة والطمأنينة ، وما دام إدراكه لم يصل بعد إلى مستوى يشعره بأن الأرض يورثها عباد الله الصالحين ، وأن الناس إخوة فى جميع أنحاء المعمورة . . مادام العالم على هذه الحالة المؤلمة المتذبذبة فالواجب يفرض علينا أن نلتفت إلى أنفسنا ونتدبر أمورنا فيما بيننا لنحفظ كياننا ، وليس فى مقدورنا أن نكون مجتمعاً قادراً على تحمل أعباء الحياة بخيرها وشرها لاتزعزعه المبادىء المخربة . مجتمع شعاره الاستقرار والاطمئنان . لانستطيع أن نكون مثل هذا المجتمع إلا إذا عرفنا الأسس التى تقوم عليه دعائمه . فالحرية والاخاء والمساواة هى حجر الاساس فى كيان الامة القوية السعيدة . والناس بسليقتهم عاشقون للحرية ، بذلوا وما زالوا يبذلون فى سبيلها أعز مايملكون . ولاعجب إذ دفعتهم نفوسهم العزيزة إلى ساحة النضال والشرف ، فهم ولدوا أحراراً ويجب أن يعيشوا أحراراً وأن يموتوا أحراراً . .

والتجرد من الماديات التى أصبحت من ميزات هذا العصر يحتاج إلى نوع من التضحية قد يراها بعضنا جسيمة . ويراها الآخرون أمراً هيناً يجب ألا يقف فى سبيل الإصلاح .

والمساواة عنصر جوهرى فى خلق الامة الحية الناهضة فطالما وجدت الفوارق وجدت الضغينة وحل التذمر ، ولا يظن أحد أن المساواة يجب أن تكون فى المعيشة والمنزلة فى هذا خلاف للحياة الواقعة ، ويقول الله تعالى « أهم

يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون . » أما المساواة التى أعنيها فهى على حد قوله تعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » فيكون الجميع سواء أمام قانون معقول مستمد من الشريعة الإسلامية الخالدة ، على أن يجتهد واضعو اهذا القانون فى أن يكون مسايراً لروح العصر الحديث . لاحقوق مهضومة ولااستغلال من أصحاب النفوذ . واستثمار لمرافق البلاد لمصلحتها ورفاهتها . وتسهيل لكل عامل كادح مهمته كى يستغل مواهبه التى أسبغها الله عليه ليأخذ نصيبه فى الحياة ، والعدالة تحتم أن نفسح المجال للمصلحين ليشتركوا فى تحمل المسئولية الثقيلة الملقاة على عاتق وطنهم . وأن يعطى الواحد منا بقدر مايبذل . وأن ترسم المثل العليا للشعب . وأن يطمئن إلى أنه لايعيش غريباً فى بلاده . ولا فائدة من عدالة صورية تسخرها المطامع وتعبث بها الاهواء .

إن العدالة الحقة هى العدالة الحرة التى تنبعث من أعماق الضمائر المؤمنة .

يوسف محمد الشابجى

مهزلة فى مهزلة

رواية شعرية هزلية للمسرح المدرسى

وضع فكرتها : حمد رجيب

نظمها شعراً : أحمد العدوانى

ترقبوا ظهورها قريباً

همسات ...

كَفِّنى الآلام بالصَّمت ... ولُوذِى بالسُّكوتْ
وازْجُرِى الذِّكرى إذا خفتْ إلى الماضِى المقيتْ
قالتِ الدنيا لأهليـ ... ـها مقالَ الناصحينا
جَهِلَ الحكمةَ قومٌ ... جعلوا الأحزانَ دينا

فاسبق الفجرَ بفجرٍ ... من أغانيك الحسانِ
واخلفيه حينَ يطويـ ... ـه الضُّحى بين المغانى
واهتِفى للبدرِ والشمس ... وللشُّهبِ اللوامعْ
وارقصى للجدول السكـ ... ـرانِ والطيرِ السواجعْ
وخُذى عن وردةِ البُستانِ أسرارَ الحياةِ
أدركتْ سحرَ شذاها ... فازدهتْ بالبسماتِ

عرفَ القصدَ أُناس ... تخذوا الأفراحَ فنّا
كلما أجدبَ مَغنىً ... لهمُ حلّوا بمغنىَ
وإذا ضاقتْ بهم دا ... رٌ مضَوْ عنها لِدارِ
وهبوا أيامهم للـ ... ـأنس حتى .. فى القِفارِ

كُلُّ ماجدَّدَ فى النفـ ... ـس شعوراً بالوُجودِ
وأراها صُوَراً تُفصِـ ... ـحُ عن حِسٍّ جديد
فاجعَليهِ هدفَ المسـ ... ـعى وعُنوانَ السَّعادةْ
ولتكنْ منكِ استجابا ... تٌ إليهِ وعبادةْ

يا ابنةَ الأحلامِ بى مَا ... بكِ من جرحٍ وحُزنِ
مَكرَ الدَّهرُ بآمَا ... لى ولم يُشفقْ بفَنِّى
غيرَ أنى لاأرى فيما ... جرى حولى ويجرى
غيرَ أطيافٍ ستمضى ... قبل أن أفقد صبرى !
خبرتْ نفسى الليالى ... فاستخفتْ بالليالى
وغدتْ لاتُنكرُ العيـ ... ـش على أيّةِ حالِ ..

أحمد العدوانى